

مقتطفات من كتاب: " الطب النفسي والغرائز (1) " الباب الثاني: " غريزة العدوان " الملحق (2)
" ليالي ألحمة ليلة " ل نجيب محفوظ: القتل بين مقامى العبادة والدم (5)

نشرة "الإنسان" 2022/10/29

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5537



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر



4- نور الدين ودينازاد

(حتى) لعبة القدر (لا تخلو من قتل إزاحي)

ويزداد نجيب محفوظ تطفافا بنا، فيخفف عنا رؤيتنا لداخلنا: قاتلا يتأرجح أبدا بين العبادة والدم، ويتقدم نحو مرحلة وسطى من الليالي، تبدو وسطا بين مغامرة الإبداع الأعرق (الثالث الأول)، وبين الأسلوب التقريري والتكراري (الثالث الأخير)، وفي هذه المرحلة □ يتمثل داخل فرد بذاته له في شكل عفريت خاص، بل تظهر العفاريات باعتبارها تمثل قانون الداخل عامة، قانونا □ يعرف قوانيننا، ولكنه ليس □ قانون " على كل حال، فهو إذ يخل بنظام ما هو واقع محسوس يعلن أن المقادير تجري بحسابات تفوق ظاهر معلومات وأحاسيس البشر وواقعهم المعلن، فكل من "سخربوط" "وزرمباحة" يمثلان الأمل والحسد العشوائي، وما هو قبل وبعد الواقع وبالرغم منه، ولكنهما □ يمثلان كل الداخل، بل يمثلان جانبا دنيويا أو لنيا أو حسيا مقترنا باتجاه عابث لدرجة الشر والأذى في سخرية مفيدة، فهما يرسمان في أول حكايات هذه المرحلة الوسطى لعبة عابثة تجمع بين دينازاد (أخت شهرزاد) وبين نور الدين بائع العطور، تجمع بينهما في حلم الواقع الآخر، وكأن نجيب محفوظ يريد في هذه المرحلة من تطوره أن يؤكد في أكثر من عمل على أن الحلم هو واقع أيضا، أو حتى أنه واقع قبلا. وهو حين يظهر الوجود الآخر في شكل عفريت، يغامر بأن يعلن أنه حلم يجري في حالة النوم فعلا: "لما أخذ إلى النوم ليلا هيمن عليه الوجود الآخر، وسمع الصوت يقول متهكما... الخ" (ص27)، ثم إنه يذهب ليؤكد أيضا موقع الحلم من الجنون: "وثبت إلى الأرض، فاكتشفت عريها، أكتشفت حبها المسفوح... هتفت في يأس: إنه الجنون...". ولح لها الجنون كوحش يطاردها (ص94)، فحين يفرض الوجود الآخر نفسه حتى ليترك آثارا عيانية (الدم: من حبها المسفوح)، فإنه بذلك يعلن واقعا جديدا، ويفرض احترامه على الواقع الظاهر، بل إنه يحتويه إحتواء: "هل سمعت من قبل عن حقيقة تتلاشى في حلم"؟ (ص98) (□حظ التعبير: لم يقل عن حلم يتلاشى في حقيقة) فالحلم هنا هو الأقدار، وهو الأصل (وهو الجنون من بُعد آخر)، وهو المستقبل "من ملكك اللحم ملك الغد" (ص12)، يؤكد على أن هذا كله هو عقل آخر، إنه الجنون نفسه... والعقل أيضا (ص112) فكما أن للحلم واقع فللجنون عقل

أن المقادير تجري بحسابات تفوق ظاهر معلومات وأحاسيس البشر وواقعهم المعلن

كأن نجيب محفوظ يريد في هذه المرحلة من تطوره أن يؤكد في أكثر من عمل على أن الحلم هو واقع أيضا، أو حتى أنه واقع قبلا

حين يظهر الوجود الآخر في شكل عفريت، يغامر بأن يعلن أنه حلم يجري في حالة النوم فعلا: "لما أخذ إلى النوم ليلا هيمن عليه الوجود الآخر، وسمع الصوت يقول متهكما... الخ"

ثبته إلى الأرض، فاكتشفت عريها، أكتشفت حبها المسفوح... هتفت في يأس: إنه الجنون...". ولح لها الجنون كوحش يطاردها

وتمضى لعبة اللحم/الجنون/الواقع الجديد: فارضة نفسها ضد كل الحسابات، ولكن محفوظ □ يستطيع أن يواصل ملاطفة مشاعرنا التي أزعجها ما أثاره فينا من قبل حين عرّى القتل داخلنا، فتقلت منه بارقة حل مرعب، يظهر في شكل حل سافر يدبره الداخل وهو يتسلي:

- تسلية نادرة

- ترى هل تنتحر الجميلة أم تقتل

- الأجل أن تقتل وينتحر أبوها (ص107)

هكذا، ببساطة، □ رفضا للظلم، □ نكسة إلى بدائية جنسية عدوانية غير مميزة، ولكن ما دام هذا هو الداخل بقانونه الغامض، فليكن الحل بلا حسابات □ ومنطق □ هدف، وما هو القتل يتحرك مثل حركة الأمعاء، مجرد ظاهرة طبيعية تحل المشاكل عبثا أو تسلية أو مصادفة أو قصدا... □ بهم.

لكن ثم داخلاً أيضاً مواكبا يتحرك في نفس الوقت، فيخيف العبث، ويخيف القتل نفسه، فيوقف المسخرة، فيعلن سخربوط خوفه من: أن يتسلل الخير من حيث □ ندرى (ص108)، فكما تسلل الشر إلى نفس صنعان من حيث □ يدري فقتل الطفلة وهو الذي كان يعد نفسه للخلاص بقتل الظالم، كذلك قد يتسلل الخير هنا من حيث □ يدري العبث الشرير.

وبهذا يؤكد نجيب محفوظ أن الوجود الآخر في الداخل ليس شرا وليس خيرا، ولكنه حركة على طريق التكامل، يتوقف مسارها ومآلها على أمور كثيرة في الداخل والخارج جميعا، ولتوجد ضمانات في طبيعة تكوين هذا الداخل تحدد المسار وتطمئن من يطلق سراحه إلى ترجيح كفة على الأخرى، ولعل هذه الحقيقة هي قمة مأساة طبيعة النمو البشري الصعب.

وما هو الخير المتسلل - رغم أنف سخربوط وزرمباجة - يفرض نفسه بعد أن تتعقد الأمور وتتذر بكارثة، وبعد أن تقبل شهرزاد خطبة (فقد قران) كرم الأصيل (المليونير) على دنيازاد، أملا في دعمه للمجهود الحربي!! ويقرب موعد الزفاف، □ أن ثلاث مصادفات تحدث ترجيحاً لكفة الخير:

1- يقابل عبد الله المجنون بعد أن أطلق سراحه سحلول (51) من دار المجانين بشق نفق عجيب، نور الدين، فيثبت أقدامه ويكسر رأسه

2- ويقابل شهريار في تجواله السرى نور الدين فيحكى له حلمه/حكايته، فيعده بتحقيق اللحم واقعا (ما دام واقعا)

3- ويقابل عبدالله المجنون دنيازاد بعد هروبها للانتحار ثم عدولها عنه فيرجعها إلى نور الدين ويقرر السلطان أن يفى بوعده، □ أن نجيب محفوظ □ يدع النهاية تسير بسلا، وإنما يسارع بإزهاق روح كرم الأصيل بيدى عبد الله المجنون الذى يسارع بدوره ! بالاعتراف بجريمته فيحميه جنونه من القصاص، □ يصدقه أحد، وكأن محفوظ لم يعجبه أن يترك حكاية تمضى بلا قتل، ربما من باب الجمال الدموي (!!)

في هذه الحكاية كما قرأتها: عدة حلقات لم أستطع أن أتبين تماسكها مع ما حولها، أو ضرورتها أصلا، فتكليف سحلول - وهو الذى أعلن الكاتب صراحة عن هويته- ولكنه ملاك، "تائب عزرائيل فى الحى" (ص80)، وكذلك "أنت ملاك الموت" (ص227) تكليفه بإخراج عبد الله المجنون من دار المجانين يبدو بلا مبرر خاص، فهذه مهمة ملاك الحياة، □ ملاك الموت، □ يصح أن نعتبر عبدالله المجنون فى عداد الموتى فيصبح إنقاذه من اختصاص ملاك الموت، كما لم أقبل أن يكون ملاك الموت قد أنقذه بالموت، وأن قام بالدور بعد ذلك هى روحه، وليس هو، فعبد الله يدور حول محور الخلود، وهو نفى لموته (مرحليا على الأقل).

كذلك كان ظهور عبدالله المجنون -رغم كل ما يمثله- ظهورا ثانويا فى هذه الحكاية، فرغم أنه قد ساهم فى حل العقدة، □ أن المصادفة بدت أقل من دوره كثيرا، ولكن يبدو أن محفوظ قد اختار للمجنون دورا جديدا بدءا من هذه الحكاية وحتى نهاية اللبالي حيث يظهر عادة عند لحظة الحسم حلا للمأزق،

هل سمعت من قبل عن حقيقة تتلاشى فى حلم؟" (ص98) (لاحظ التعبير: لم يقل عن حلم يتلاشى فى حقيقة) فالحلم هنا هو الأقدار، وهو الأصل (وهو الجنون من بُعد آخر)، وهو المستقبل "من ملك الحلم ملك الغد

خوفه من: أن يتسلل الخير من حيث لا ندرى (ص108). فكما تسلل الشر إلى نفس صنعان من حيث لا يدري فقتل الطفلة وهو الذى كان يعد نفسه للخلاص بقتل الظالم، كذلك قد يتسلل الخير هنا من حيث لا يدري العبث الشرير

يؤكد نجيب محفوظ أن الوجود الآخر فى الداخل ليس شرا وليس خيرا، ولكنه حركة على طريق التكامل، يتوقف مسارها ومآلها على أمور كثيرة فى الداخل والخارج جميعا

أن نجيب محفوظ لا يدع النهاية تسير بسلا، وإنما يسارع بإزهاق روح كرم الأصيل بيدى عبد الله المجنون الذى يسارع بدوره ! بالاعتراف بجريمته فيحميه جنونه من القصاص، ولا يصدقه أحد، وكأن محفوظ لم يعجبه أن يترك حكاية تمضى بلا قتل، ربما من باب الجمال الدموي (!!)

وخاصة حين يستعمل معرفته الغائرة لإحقاق الحق، ثم هو يظل يحوم حول مشاعر الناس (وفى ضمائهم)، وكان لابد له إذن من إطلاق سراحه ليقوم بدور الحاضر الغائب أبداً. وأخيراً، وكما أشرت، فإن قتل كرم الأصيل بيد عبدالله المجنون لم يكن له مبرر كاف، بل من الداخل وبل من الخارج، فقد كان بوسع السلطان أن يفرض عليه الطلاق مثلاً.. ولكن لعل ما غاب عنى دللته أو أهميته هو ناتج عن إصرارى على محاولة أن أرى الحكايات كلها فى وحدة ما، وهذه مغالاة بل أعفى نفسى من مسئولية المخاطرة بها.

(ونواصل غداً)

- [1] يحيى الرخاوى، كتاب "الطب النفسى والغرائز (1) - غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و"غريزة العدوان" (من التفكير إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2022)
- [2] تحديث محدود لمحاضرة "الغريزة الجنسية" ألقيتها فى منتدى أبو شادى الروبى (15/12/1998) ضمن نشاط محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة.
- [3] صدر هذا النقد فى عمل لى فى "قراءات فى نجيب محفوظ" الطبعة الأولى (1990) الهيئة العامة للكتاب، والطبعة الثانية (2005) والطبعة الثالثة (2017) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى .
- [4] بدءاً من هذه الحلقة سوف أنشر الحلم مكتلاً أولاً، وذلك بعد ما وصلتني رسائل متعددة، واحتجاجات منطقية، نأسف أنها لا تستطيع أن تتابع النقد دون الرجوع إلى "المتن الأصلى" فقررت أن أجرب اليوم أن أنشر المتن مكتلاً قبل النقد.
- [5] كان ظهور سحلول طوال الرواية ثانويًا وعابراً، رغم أنه كان يمكن أن يمثل تحدياً موقظاً فى مقابل لعبة القتل الخطر، ولكنه بالصورة التى ظهر بها خالطاً بين مأساة الموت، وتجارة العاديات.. لم يبد بالعمق الكافى.

إرتباط كامل النص مع المقطعات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD291022.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%a6-24/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

فى هذه الحكاية كما قرأتها:
عدة حلقات لم أستطع أن
أتبين تماسكها مع ما حولها،
أو ضرورتها أصلاً.

لا يصح أن نعتبر محمد الله
المجنون فى عداد الموتى
فيصح إنقاذه من اختصاص
ملاك الموت

لم أقبل أن يكون ملاك
الموت قد أنقذه بالموت،
وأن من قام بالدور بعد
ذلك هى روحه، وليس هو،
فبعد الله يدور حول محور
الخلود، وهو نفى لموته
(مرحلياً على الأقل).

كان ظهور محمد الله المجنون
-رغم كل ما يمثل- ظهوراً
ثانويًا فى هذه الحكاية، ورغم
أنه قد ساهم فى حل العقدة